الشخصنة ومشروع الحياة في المراهقة

الباحثة : أمينة عيساوي
إشراف: أ.د. حسين فسيان
جامعة وهران 2

Abstract:

This article focuses on the concept of personalization and the project of life with addiction of girls in Algeria. In this paper I have choose a comparative study between school-going teenagers and out-of-school adolescents. A clear difference emerged between the two groups observed. Teenage girls on school leave project themselves into the traditional and conformist social roles and statuses of a collective identity (marriage, mother, and domestic roles). Adolescents in school projecting themselves into individualized projects (professional occupations) and outdoor spaces.

Keywords: Personalization, Adolescence and gender, life project, personal project, matter.

مقدمة:

المراهَقة هي مرحلة انتقال تقع بين الطفولة وسن الرشد. حدود هذه المرحلة على وجه التقريب هي بين 12-13 سنة و18-20 سنة، وهذه الحدود هي صعبة التوضيح بدقة، ذلك أن سن المراهَقة ومدتها يختلفان وفقا للأعراف، الجنس، الظروف الجغرافية و بخاصة الأوساط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وهناك من كان يرى أن المراهقة تمتد إلى غاية 24 أو 25 سنة، أو أنه لا وجود لها في المجتمعات البدائية التي وصفها الأنثروبولوجيون كـ M. MEAD، حيث كان الطفل من خلال طقوس معينة ينتقل مباشرة إلى عالم الراشدين، حيث يتمتع بالحقوق التي يتمتع بها الأكبر منه ويمارس نفس الواجبات المفروضة عليهم كتحمل مسؤولية عائلة.

و إن عدنا إلى مجتمعنا الجزائري التقليدي[1] فذلك لا يختلف كثيرا عما ذكر سابقا حيث كان الأطفال لا يصبحون حين يكبرون مراهقين، بل يصبحون راشدين. و لكن مع مرور الزمن وحدوث تغيرات على مستوى النظام الاجتماعي الجزائري[2] تغيرت الأوضاع حيث ظهرت المرحلة التي تسمى

بمرحلة المراهقة، وما يميزها حاليا أنها أصبحت طويلة المدة. إذ أن الفرد حاليا الّذي هو ليس طفلا ولا راشدا وجد نفسه قبل أن يدخل إلى عالم الرّاشدين أمام تبعيّة للوالدين، وكذا المرور بمرحلة تعلّم طويلة مما يؤخّر دخوله عالم العمل وبالتالي تأخر الزواج الذي كان يعتبر كخطوة مهمة لبلوغ سن الرشد كلّ ذلك يُطيل من مرحلة المراهَقة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تلك التغيرات مست أيضا وضعية المرأة الجزائرية بشكل عام، وأهم عامل ساهم في حدوث ذلك هو دخول البنت إلى المدرسة، حيث كانت هذه الأخيرة مخصصة للولد فقط أما البنت فكان لا يُسمح لها بدخولها بل تبقى في المنزل أي الفضاء الداخلي، إذ أنه وقبل بداية مرحلة المراهقة بقليل يبدأ التّفريق بين الجنسين بتوجيه كلّ منهما إلى الفضاء الخاصّ به: البنت في الدّاخل وتعليمها الأشغال المنزليّة من أجل تجهيزها للزّواج، أمّا الولد فإنّه يبقى في الخارج ليتم تجهيزه هو أيضا لحياة ومسؤوليّة جديدتين عليه، ولا يدخل إلى المنزل إلاّ للأكل والنّوم، كما يُمنع منعا باتّا التقاء الجنسين وإقامتهما لعلاقات مع بعضهما مهما كان نوعها. ولكن فيما بعد وتدريجيا أصبح من حق البنت التمدرس أيضا مثلها مثل الولد وصار بإمكانها إنهاء دراستها، وبلوغ مستويات عليا والحصول على مناصب عمل مشرّفة وتقاضي أجر. ولكن بالرغم من ذلك التغير المهم والذي له دور كبير في هذا التطور فيما يتعلق بوضعية المرأة، إلاّ أنّه توجد وإلى يومنا هذا بعض الفتيات اللاتي تُسحبن من المدرسة في سن مبكرة بعد تعلّمهن المبادئ الأساسية للقراءة والكتابة وأحيانا إن لم نقل غالبا يتزوّجن في سنّ مبكّرة. يتم توقيفهن عن الدراسة إمّا من قبل العائلة التي ترى أنّ الفضاء الطبيعي للفتاة هو المنزل، أو أن الفتاة نفسها مقتنعة بدور المرأة الأساسي المتمثل في إدارة المنزل والزواج وإنجاب الأطفال والإشراف على تربيتهم وبالتالي تختار المكوث في البيت.

الإشكالية:

استنادا إلى ما سبق ذكره أقيمت دراسة على مجموعة من المراهقات غير المتمدرسات والمراهقات المتمدرسات قصد الكشف عن الشخصنة لدى كل مراهِقة من بين هؤلاء، أي دراسة الكيفية التي تتشخصن (Se personnaliser) الفتاة التي لا تتردد على المدرسة وتركت مقاعدها وهي حاليا ماكثة بالبيت دون أي تكوين مهني، ومقارنتها بالشخصنة لدى الفتاة التي تدرس.

تُعدّ المراهَقة " كفترة عبور الّتي تفصل مرحلة الطّفولة عن مرحلة الرّشد ومركزها هو البلوغ"(DOLTO et DOLTO-TOLITCH, 1989: 17)، قُدِّم هذا التّعريف من قِبل الباحثة F. Dolto ولا يمكن تعميمه على كلّ المجتمعات والثّقافات. على سبيل المثال في النّظام الاجتماعيّ والعائليّ التّقليديين في الجزائر لا نجد مرحلة المراهَقة هذه، بحيث ينتقل الفرد مباشرة إلى سنّ الرّشد منذ البلوغ، وخاصّة

من خلال تأشيرة الزّواج. و يبقى ذلك متواجدا حتّى أيّامنا هذه في بعض المناطق وبالخصوص في القرى والأرياف.

في مجتمعنا نجد بعض الفتيات اللاّتي ينهين دراساتهنّ ولا يتوقّفنّ حتّى يبلغن مستويات عليا ويحصلن على مناصب عمل مشرّفة، وهناك أخريات درسن ولكنّهن توقّفن مبكّرا عن الدّراسة لأسباب مختلفة وأحيانا إن لم نقل غالبا يتزوّجن في سنّ مبكّرة. هذه الوضعية دفعتنا إلى دراسة الشّخصنة لدى تلك المراهِقات، وكذلك من بين دوافع اختيار هذا الموضوع هو محاولة فهم الآثار الّتي يخلّفها التّوقّف عن الدّراسة على سلوكاتهنّ، وكذلك خضوعهنّ إلى سلطة العائلة والتّقاليد والأعراف، كما لوحظ أنّ أغلبية تلك الفتيات غير المتمدرسات ليس لديهنّ حرّية التّعبير مقارنة مع الفتيات المتمدرسات. وما ساهم في الاهتمام بالقيام بهذه الدراسة هو إمكانيّة وقابليّة إنجازها في أرضية الواقع، وذلك فيما يتعلّق بالوقت، إمكانيّات ووسائل التّطبيق في الواقع. أمّا فيما يتعلّق بالهدف من هذه الدّراسة فهو يتمثّل من جهة في السّعي للكشف عن الطّريقة الّتي تتشخصن (Se personnaliser) من خلالها المراهِقة غير المتمدرسة والمراهِقة المتمدرسة وفهمها، ومن جهة أخرى فهم شخصيّة كلّ منهما، والقيام بمقارنة بينهما.

إذن من أجل بلوغ هذا الهدف نطرح التّساؤلات التّالية:

كيف تتشخصن المراهِقات غير المتمدرسات والمراهِقات المتمدرسات؟ هل تختلف الشّخصنة تبعا للتّمدرس أو عدم التّمدرس لدى المراهِقات؟ وما هو المشروع الّذي تسعى كل من المراهِقة غير المتمدرسة والمراهِقة المتمدرسة إلى بلوغه؟

لقد تمّ الانطلاق في هذا العمل من الدّراسة الّتي قام بها H. Fsian والّتي درس فيها المشروع العملي لدى المراهِقات الجزائريّات: من الارتهان إلى إستراتيجيّة الشّخصنة. وكانت هذه الدّراسة الّتي قدّمها الباحث مستمدّة من تحليل محتوى مقابلات قام بها مع عشرين طالبة جزائريّة تتراوح أعمارهنّ ما بين 19 و23 سنة. و قد خَلُص فيما يتعلّق بالمراهِقات وكما أشار Malrieu إلى أنّ الصراعات الأساسية في هذا السّنّ هي الّتي تُعدّ مصدرا للمشاريع. بالتّالي هذه الأخيرة هي تُعدّ كمحاولة تجاوز التّناقضات المثارة والمحدثة من خلال القطيعة مع الطّفولة ومن خلال مقتضيات ولوازم اجتماعيّة عديدة (عائلة، مدرسة، أقران،...).

قام الباحث باختبار على ضوء ما سبق ذكره مدلول كلمة "مشروع" لدى المراهِقات الجزائريات، حيث تمّ الإشارة إلى المشروع الأنثويّ داخل النّظام التّقليدي: الزواج، والّذي اعتُبر منذ أبد بعيد كمرحلة للاندماج الاجتماعيّ داخل عالم الرّاشدين. ولكن كانت النّتيجة الّتي توّصل إليها في الأخير هي أنّ الزّواج حاليا بدأ يفقد بالتّدريج وظيفته ومدلوله. و لهذا يُستدعى مشروع آخر من أجل الوقاية

من احتمالات صعوبات الحياة، ومخاطر الاستقرار الوحيد للمرأة أي الزّواج. وأهمّ مشروع وجد الباحث أنّ المراهِقات يسعين إلى تحقيقه هو دخول الجامعة والعمل. فالمشروع العملي للفتاة هو رغبة في التّوسع وتحقيق الذّات داخل أدوار وفضاءات كانت مخصّصة للرّجال، ممّا أدّى إلى تغيّر وتحوّل تمثّل المرأة داخل التّاريخ الثّقافي لهذا المجتمع.

المفاهيم الإجرائية:

في هذه الدّراسة تمّ أخذ مفهوم المراهَقة بالأساس على أنّها تلك المرحلة الوسيطة بين مرحلة الطّفولة وسنّ الرّشد، والّتي يكون فيها الفرد لا يزال تحت سلطة العائلة ولا يتعلق الأمر بالسّنّ فقط، لأنّه انطلاقا من مرحلة الرّشد يتمكّن الفرد من الابتعاد عن سلطة (L'autorité) العائلة واكتساب الاستقلاليّة من خلال العمل والاعتماد على الذّات: "أن يصير الفرد راشدا هو أن يكتسب الاستقلالية"(FSIAN In : KAHLOULA (Sous la dir de), 2011 :47).

أما فيما يتعلق بمصطلح الشخصنة فقد تم تبني المعنى الّذي أعطاه له P. Tap، فهو يُعرّف الشّخصنة (La personnalisation) على"أنها سيرورة التركيب والإثبات النفسي للشخص طيلة حياته وليس فقط أثناء الطفولة أو المراهقة"(SORDES-ADER, TAP et TAQUINIO, 2002 :160) ويكون ذلك من خلال مواجهة ومقاومة بعض المواقف الارتهانيّة (Aliénation)، ويحدث ذلك بالارتباط مع الهويّة والعمل على تحقيق الذات من خلال تحديد مشروع حياة.

منهجية الدراسة:

استلزمت الإجابة على هذه التساؤلات الاستعانة ببعض وسائل وأدوات البحث، والتي تمثلت في: قصة الحياة (Le récit de vie) كوسيلة للكشف عن ذلك، لأنه وبما أن سيرورة الشخصنة هي سيرورة معقدة جدا فإنه كان من الأفضل اختيار طريقة كيفية، وبالتالي الوسيلة الأنسب لذلك هي قصة الحياة أين يتم من خلالها دراسة السيرة الذاتية لكل مراهِقة مما يساعد على تتبع مسار حياتها وذلك عبر العودة إلى مختلف المراحل العمرية التي مرت بها.

يُمكن تعريف قصّة الحياة على أنّها: "شكل خاصّ من المقابلة-مقابلة سرديّة- الّتي من خلالها يطلب الباحث من شخص ما بأن يروي (على شكل قصّة) حياته أو جزءا من حياته"(GALLIGANI," 2000: 22). أمّا في نظر Chanfrault Duchet فإنّ قصّة الحياة هي: "نتاج إجراء إجماليّ ومتماسك الّذي من خلاله يتموقع السّارد في وضعيّة حواريّة"(GALLIGANI, 2000: 17). وحسب Trognon: "قصّة الحياة، مثل كلّ مقابلة هي نتاج تفاعل خطابيّ بين فاعلين (Sujets) يتعلّق بشبكة رمزيّة، خياليّة وواقعيّة معقّدة، لغويّة وخارج لغويّة"(GALLIGANI, 2000: 19).

اعتمدت قصّة الحياة في هذه الدراسة على مقابلة البحث الّتي هي على نقيض المقابلة الإكلينيكيّة. هذه الأخيرة القصد منها هو علاجيّ أو تشخيصيّ، أمّا مقابلة البحث لا تستجيب إلى طلب المريض ولكن تستجيب إلى سعي من أجل تركيب معارف علميّة من قِبل الباحث. يتمّ إعلام الأشخاص المراد العمل معهم قبلا بموضوع وهدف المقابلات الّتي يتمّ فيها سرد قصّة الحياة الخاصّة بكلّ منهم. يكون ذلك اختياريّ أين يمكن أن يتكلّم المبحوث عن خبراته المعاشة وهو فقط من يُقرِّر ذلك، إذ يجب أخذ موافقته. كما يضمن الباحث للمبحوث أنّ كلّ ذلك يكون في سرّية تامّة مع إخفاء المعلومات الّتي قد تُشير إليه.

في مقابلة البحث مثل في المقابلة الإكلينيكيّة المتعلّقة بالعلاج أو التّشخيص إنّ العلاقات مع الآخر، مع حديثه وتجربته المحوَّلة إلى كلمات تكون مرسومة بشكل مُحدَّد مُسبقا. بمعنى لا يدخل الباحث في الحوار مع المبحوث ولا يطلب منه سرد قصة حياته إلاّ إذا قـام الباحث بتحضير شبكة المقابلة وشبكة الملاحظة. وقد تمّ الاعتماد في المقابلات الّتي قمنا بها على شبكة للمقابلة والملاحظة الخاصّة بالمراهِقات غير المتمدرسات وأخرى للمراهِقات المتمدرسات. قمنا بوضع أسئلة تخصّ موضوع الدّراسة فقط هذا فيما يخصّ المقابلة أمّا الملاحظة فحدّدنا ما يجب ملاحظته فقط. وكان الهدف من هذه الشّبكة هو تحديد مسار الحوار مع كلّ مراهِقة وتوجيهه باستمرار، والعمل على عدم الخروج عن الموضوع. كما ساعد ذلك على إعادة تركيب الأحداث المذكورة حسب تسلسلها الزمني، وكذلك ساهم في الكشف عن التّوتر الّذي لم تُعبِّر عنه الحالة أثناء تعرّضها لهذه الأحداث وذلك من خلال استعمال الملاحظة، أين يُلاحِظ إذا كان هناك تغيّر في نبرة الصّوت، لون البشرة، حركات الجسم، طريقة الجلوس، فترات الصّمت.

تم الاستعانة أثناء إجراء المقابلات بجهاز تسجيل صوت، بعد طلب الإذن من الحالات والحصول على موافقتهم، و إفهامهم أنّ استعمال الجهاز هو من أجل تسجيل كلّ ما يُقال وتفادي نسيان بعض الأمور المهمّة عند تدوين المقابلة وأنّ ذلك يُساعِد في عمليّة التّحليل.

وقد اخترنا قصّة الحياة كتقنية للدّراسة لأنّها ظهرت تتكيّف مع الثّقافة المحلّيّة، فيما يتعلّق بالجانب التّقليديّ فيها. كما تُناسِب موضوع دراستنا، فقد أشار Polkinghorne إلى أنّ الهوّيّة الشّخصيّة والفكرة الّتي لدينا عن ذواتنا تتحقّق من خلال تعبير سرديّ. الذّات ليست شيئا إحصائيّا أو مادّة وإنّما هي عبارة عن أحداث عاشها الشّخص داخل وحدة تاريخيّة، الّتي تشتمل ليس فقط على ما كان عليه الشّخص ولكنّ أيضا تتضمّن توقّعات لما سيكون عليه مستقبلا. يعود نحو الماضي على ضوء الحاضر، وأيضا القدرة على إسقاط الذّات نحو المستقبل والحديث عن المشاريع. فالشّخص تتكشف هوّيّته عندما نسمح له بسرد تاريخ حياته، أين تسمح له إعادة النّظر في أفعاله بتحقيق شكل جديد للكشف

عن الذّات. إذن تمثّل الذّات الّذي هو على شكل قصّة يسمح بجعل إدراك الذّات والحقيقة أكثر قابليّة للفهم.

كما تم أيضا الاستعانة في هذه الدراسة بالمنهج المقارن، الذي يتضمن إظهار أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين مجموعتين من المراهقات.

تم اختيار مجموعتين من المراهِقات: المجموعة الأولى تضمّ أربع مراهِقات غير متمدرسات والثّانية تضمّ أربع مراهِقات متمدرسات. وذلك من أجل الكشف عن الشّخصنة لدى تلك المراهِقات والقيام بمقارنة بين المجموعتين. تتراوح أعمار الحالات ما بين 18 و20 سنة، وتمّ القيام بمجموعة من المقابلات المعمّقة مع تلك المراهِقات بالاعتماد على شبكة مقابلة، كما تمّ تسجيل كلامهنّ وتسجيل الملاحظات، ثمّ يلي ذلك مرحلة التّعليق وتحليل المعطيات المتوصّل إليها من أجل تبيان الشّخصنة لدى تلك الفتيات والكشف عنها. بعدها استخراج أوجه التّشابه والاختلاف.

عرض ومناقشة النتائج:

كانت النتائج المتوصل إليها كالتالي:

أشارت كل واحدة من المراهقات المتمدرسات إلى رغبتها في الارتباط برجل يتفهم هدفها في هذه الحياة ألا وهو: إنهاء الدراسة ودخول ميدان العمل في الفضاء العمومي الذي كان مخصصا للرجال فقط. كما أنّه تحاول كل مراهِقة شقّ مسارها المحفوف بالمخاطر بنفسها، وتحديد مصيرها بمفردها، بالرّغم من عدم زوال الثّقافة الأبوية نهائيّا.

المشروع[3] الذي تعمل المراهِقة على تحقيقه يتمثّل في إنهاء الدّراسة والعمل، الأمر الّذي سيساهم في تحقيقها للاستقلالية و إثبات ذاتها. فعمل المرأة في الخارج له ميول لأن يصير ضرورة حتمية لابد منها، لأنّه يُوفر لها الأمن أكثر من الزواج[4]، الّذي لم يعد يحظى بنفس القيمة الّتي كانت له في السّابق، لأنّ العمل أصبح وسيلة بيد المرأة من أجل مواجهة تقلّبات الدّهر.

إنّ ظهور **المشروع العملي**(Projet professionnel)[5] أدّى إلى تغير في التّمثل (Représentation) الّذي كان يُكونه المجتمع نحو المرأة: إذ حاولت المراهِقة المتمدرسة الرّفع من قيمة المرأة العاملة من خلال إظهار تمثّل إيجابي لها، وفي نفس الوقت حاولت إحداث قطيعة مع النّموذج القديم للمرأة الجزائرية التّقليدية: أي الماكثة بالبيت والخاضعة لإرادة الرّجل. إنها تحاول استبدال الدور السابق للمرأة داخل الثقافة الأبوية بالتمدرس والطموح والعمل، الذي يسمح للمرأة بشغل مكان (Place) اقتصادي من أجل أن تؤكد ذاتها ككائن له فردانيته، وتحصل على استقلالية أكبر، وهذا كله يؤدي إلى تركيب هوية أنثوية جديدة. إن المراهِقة المتمدرسة تعي قدراتها على الانجاز خارج الفضاء الذي كان مخصصا لها (المنزل)، وهي تسعى لدعم مركزها كشخص له كيانه الذاتي وتحقيق الاستقلالية.

من خلال المشروع العملي تبحث المراهِقة المتمدرسة عن التّكيف مع تغيّرات الوسط الاجتماعي، تحقيق الذات، التعبير عن تأثير وسلطان الآخرين ومواجهته. كما أنه تحدث شخصنتها من خلال الخروج من فضائها، إنهاء الدراسة والعمل ومواجهة المحيط من خلال قول كلمة "لا" له، وقد ظهر ذلك بالخصوص لدى إحدى المراهقات التي أظهرت ردة فعل واستجابة للارتهان، من خلال معارضة الأب والمحيط بصفة عامة فيما يتعلق بالتّدخل في أمر الزواج وأيضا تحديد عدد الأطفال، وعموما رفض النّظرة التي يُكوّنها المحيط عن المرأة. كل ذلك يساهم في تحقيقها لذاتها وبالتالي تتشخصن من خلال مواجهة والقيام بردة فعل اتجاه ما يرتهنها. إن ما تسعى إليه المراهقة المتمدرسة هو أن يكون لها وحدها الحق في تحديد مصيرها و تقريره ولا تريد أن تخضع لضغوط المجتمع الذي هو تحت هيمنة الرجل. إنها لم ترض بالخضوع وبهذا فإنها تكافح من أجل صياغة حياتها الخاصة بالطريقة التي تريدها.

إذن يُمكن القول بأنّه تتعلق شخصنة المراهقة المتمدرسة **بالمشروع العملي**، بمعنى أنّ هذا الأخير هو في مركز حركة الشخصنة، وكانت هذه الشخصنة من خلال:

- بحث عن قيمة.
- بحث عن مقدرة (Pouvoir).
- بحث عن الاستقلالية.
- بحث عن تحقيق الذات.

إنّ ما سبق ذكره فيما يتعلّق بالشخصنة لدى المراهِقة المتمدرسة لا يتطابق مع ما هو متداول في النّظام التّقليدي، سابقا كان للمنزل مكانة مهمّة في حياة المرأة، كما أنه لا يوجد دور آخر خاص بالمرأة إلاّ ذلك الّذي يتمثّل في دور الأمّ، أي أنّ المرأة تتشخصن (Se personnaliser) من خلال تحوّلها إلى أمّ: "هذا الكائن الذي هو من جنس أنثوي مصيره محدد: "الأمومة"، و يحدث ذلك بطريقة شرعية أي عن طريق الزواج"(FSIAN *In* : CHERIF et MONCHAUX (Sous la dir de), 2007: 39).

في النظام التّقليدي يظهر طابع الموضوع (Objet) للمرأة في كونها مُرتهنة (Aliénée) وخاضعة لإرادة الرّجل، وأنّ مصيرها خُطّط من قِبله. وهذا ظهر بوضوح فيما يتعلّق بالمراهِقة غير المتمدرسة أين تبيّن أنّ مصير كلّ منهنّ محدّد مسبقا من قبل الثّقافة الأبوية التّقليدية، حيث أنّ توقفها هنا عن الدّراسة كان بتأثير من المحيط[6] وإن كانت قد صرّحت بأنها توقّفت بإرادتها. قامت بذلك من أجل تحقيق الاندماج الاجتماعي، حيث أن في هذا المجتمع المفعم بالتّقاليد إن الجماعة هي التي تشرف وتوجّه الفرد وهذا الأخير ما هو إلا عضو بسيط من الجماعة. لكن كانت المرأة ولازالت إلى يومنا هذا تخرج من هذا الارتهان (Aliénation) وبالتالي من كونها موضوع (Objet) من خلال إنجابها

لأطفال ذكور، وعندما يكبرون تمتّع الأم بقوّة ومقدرة (Pouvoir) وتحصل على احترام المحيط لها وتحقّق استقلاليتها وذاتها.

تتشخصن المراهِقة غير المتمدرسة من خلال التوقف عن الدراسة والبقاء في المنزل وتعلم وإتقان الأشغال المنزلية، الزواج من رجل تمت الموافقة عليه بشكل إيرادي، ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار رأي الأب كالموافقة على رجل يقترب في أخلاقه وعمله من أخلاق وعمل الأب، وأنّ الزواج به يرضى به هذا الأخير. كما تتشخصن من خلال إنجاب أطفال خصوصا من جنس ذكري[7]، فمثلا إحداهن أظهرت ميولها لإنجاب أطفال من جنس أنثوي ولكن مع وجود ولو ولد واحد بينهنّ لأنّ المحيط يحبّذ الجنس الذكري. أمّا مراهِقة أخرى فصرحت أنّها لا تحبّذ الجنس الأنثوي بحجّة أن تربية البنت صعبة، ولكن في الواقع هناك مواجهة للمرأة ضد المرأة[8]. كما تحلم كل منهنّ بتربية أطفالها تربية حسنة والعمل الجاد على إنجاحهم في المستقبل من خلال حثهم على إنهائهم للدّراسة والعمل في مهنة مشرفة. من جهة أخرى يظهر تغيّر واضح في النّظام التّقليدي والّذي ساهم في شخصنة المرأة حاليا بشكل آخر إنّه: تحديد عدد الأطفال بشكل شخصي.

كل مراهِقة غير متمدرسة قبلت الحياة كما فرضها عليها المجتمع وارتضاها لها. كذلك فإنها تميل إلى تقبل أحكام المجتمع ولا تمانع في أن تخضع حياتها للمؤثرات الخارجية عن ذاتها، فهي بذلك تسير على نمط الحياة المنزلية ذات السلطة الأبوية. تظهر هذه المراهِقة وكأنها في وضعية سلبية أي تتأثر ولا تؤثر، ولكن في الواقع بالرغم من هذه السلبية فإنها تختار العناصر التي تستخدمها لصالحها مثلا: العمل على إتقان الأشغال المنزلية، كسب رضا عائلة الزوج والتكيف معها، الأمر الذي يسمح لها بالتكيف مع الزوج في حد ذاته إضافة إلى إنجاب الأطفال. كما لوحظ فيما يخص الزواج أن المراهِقة غير المتمدرسة تريد في المستقبل مطابقة الزوج وطاعته والسير على نهجه وإرشاداته. وبسبب هذا التطابق فإنها في المستقبل ستشعر بالرضا وتحقيق الذات، وبالتالي هذا يعتبر نجاحا بالنسبة لها.

إنّها شخصنة من خلال الخضوع والبحث عن التّطابق مع المحيط: إذ أنه تحاول المراهِقة غير المتمدرسة إثبات ذاتها من خلال البحث عن التطابق مع الثقافة الأبوية، حيث أنها قد استدخلت (Intérioriser) الثقافة التي تربّت داخلها وتركبت شخصيتها انطلاقا من أوامرها وضوابطها وبالتالي ستتشخصن تبعا للحدود التي وضعتها هذه الثقافة، ولهذا لا نجد لديها إحساسا داخليا بالسلبية ولا بالارتهان[9].

إذن إنّ شخصنة المراهِقة غير المتمدرسة تتعلّق بالأساس بصيرورتها أمّا لأطفال ناجحين في المستقبل. حيث أن تكون المرأة أمّا لأحد ما هو مشروع الهوية الاندماجي لكل امرأة تنتمي إلى النظام التقليدي، كما أنّ الزواج كان ولازال الشّرط الوحيد لتطورها وبلوغها مشروعها المتمثل في

الأمومة. إنه مشروع الهوية الّذي يستمد قوته ليس فقط من رغبة الفتاة لكن من المشروع الإيديولوجي لكل شخص من جنس أنثوي.

ما يمكن الإشارة إليه بناء على ما سبق ذكره هو أنّ الشخصنة لدى المراهِقة غير المتمدرسة والمراهِقة المتمدرسة تشترك في كون كل واحدة منهما لديها رغبة في الزواج وإنجاب الأطفال مع تحديد العدد مسبقا، ولكن هذا الهدف في حدّ ذاته الذي يتمثل في الزواج يختلف لدى كل منهما، أين نجده في المرتبة الثانية مع اختيار زوج متفهم لعمل المرأة وهذا ما لوحظ لدى المراهِقة المتمدرسة، أما المراهِقة غير المتمدرسة فإنّه يعتبر هدفها الرئيسي، كما أنه كل منهما ترغب في أن تصبح أمّا، وهذا يحيلنا إلى أنه في النظام الاجتماعي التقليدي لا يوجد دورا آخر مخصّصا للمرأة غير دور الأم، أي للمرأة مصير محتوم أي أن كل فتاة ستصبح أمًّا في المستقبل، وبطبيعة الحال هذه الحتمية لا تكون إلا عن طريق الزواج: "فالزواج هو المرحلة الاجتماعية التي تسمح بالدنو وتحقيق المشروع الأمومي"(FSIAN *In* : CHERIF et MONCHAUX (Sous la dir de), 2007: 39) هذا من جهة، ومن جهة أخرى يلاحظ بقاء لآثار الثقافة الأبوية رغم التطور والتحول الذي حدث في النظام التقليدي، إذ يظهر ذلك لدى المراهقة المتمدرسة من خلال تمسكها بفكرة الزواج و إن كان كهدف ثانوي.

وهذا كله يحيلنا إلى الإشارة إلى أن الشخصنة لدى المراهِقة غير المتمدرسة والمراهِقة المتمدرسة ترتبط بالبنية الاجتماعية، طبيعة العلاقات الاجتماعية ، التنشئة الاجتماعية التي أنشئت عليها كل مراهِقة داخل محيطها، الأعراف، التقاليد وكذلك يرتبط بالعوامل الاقتصادية، كما ترتبط أيضا بالعوامل الدينية والعوامل الفكرية التي تحوزها المراهِقة. هذا يعني أن الشخصنة تختلف من مراهِقة إلى أخرى باختلاف جميع العوامل المذكورة سابقا. إذ يمكن أن تتشخصن المراهِقة غير المتمدرسة من خلال الزّواج و إنجاب الأطفال، في حين المراهِقة المتمدرسة تتشخصن من خلال الدراسة والعمل والقيام بأمور كانت خاصة بالرجل مثل دخول المرأة في سلك الأمن وغير ذلك من الأعمال التي كانت مقتصرة على الرجل فقط. ولهذا لا يمكن القول أنّ المراهِقة غير المتمدرسة لم تحقق استقلاليتها ولم تتشخصن، لأن ذلك لا يرتبط بكون المرأة تستقل وتتشخصن من خلال قيادة السيارة أو العمل كشرطية أو السفر لوحدها أو ممارسة رياضة معينة أو إنهاء دراستها والاستقلال في عملها، ولكن تتشخصن عندما تتمكن من القيام بفعل ما اختارته بإرادتها ودون أن يفرضه عليها أحد من المحيطين بها وكانت مقتنعة به، وبالتالي تتمكن من تحقيق التكيف الاجتماعي وتحقق ذاتها.

الإحالات

[1] هو نظام يستمد قيمه وضوابطه من الثقافة العربية والإسلامية ولا يقصد به النظام البدائي ولا قديم.

[2] خصوصا بعد الاستقلال سنة 1962.

[3] المشروع هو صنف أو شكل من توقّع الذّات تحت شكل مخطّط حياة ينبغي تحقيقه. "مشروع الحياة يبني تعريف الذّات الّتي يُعطيها المراهِق لنفسه من أجل تحديد مصيره الشّخصيّ، من أجل أن يندمج داخل جماعة الكبار، داخل جماعة أو وحدة هؤلاء الّذين لديهم الطّاقة وشرف تحقيق والقيام بآثـار بكلّ حرّية أو استقلاليّة"(FSIAN, p30).

[4] لكن مع كل ذلك تبقى فكرة الزواج لدى المراهقة المتمدرسة ولكن تأتي في المرتبة الثانية.

[5] حسب Boutinet يتضمّن المشروع العمليّ نوعا من إدراك الزّمن المقبل، أين يتمّ تحديد الهدف والوسائل من أجل بلوغه وتفسير الدّوافع الكامنة وراء اختيار الهدف.

[6] في هذه الحالات كان هناك تأثير للمحيط ولكن بطريقة غير مباشرة، إذ أنّه كانت كل مراهِقة غير متمدرسة تبحث عن الاندماج الاجتماعي، والوسيلة التي رأتها مناسبة هي التوقف عن الدراسة والمكوث في البيت.

[7] قد تحدّثت Lacoste-Dujardin عن إنجاب ولد أو بنت: "إنّ مجيء بنت في الجزائر يحدث في الصّمت... هي لفت في تلمسان أو قرعة في قسنطينة... حتّى المُوَلِّدة تَحزن عندما تُساعِد على ميلاد بنت فقط...بالنّسبة للأب عندما لا يسمع الزّغاريد الّتي تُوحي بميلاد ولد، فإنّه غالبا ما يذهب ليُخفّف عن نفسه، يتعزّى في المقهى" (LACOSTE-DUJARDIN, 1985:57).

[8] هذا ما أشارت إليه Camile Lacoste Dujardin في كتابها «Des meres contre les femmes ».

[9] لا تشعر المرأة أنها خاضعة لإرادة الرجل وأن مصيرها حدّد منذ ميلادها من قبل الثقافة التي تنتمي إليها.

المراجـــع:

1- ADDI (H) (1999), *Les mutations de la société algérienne: famille et lien social dans l'Algérie contemporaine*, Editions la Découverte, Paris.

2- DOLTO (F) et DOLTO-TOLITCH (C) (1989), *Paroles pour adolescents ou le complexe du homard*, Hatier, Paris.

3- FSIAN (H), *Le projet professionnel chez l'adolescente algérienne*, *In* : CHERIF (H) et MONCHAUX (PH) (Sous la dir de) (2007), Adolescence quels projet de vie?, Centre de Recherche d'Edition et d'Application Psychologiques (CREAPSY), Alger.

4- FSIAN (H) (2006), *Identité féminine-Identité masculine : A propos des relations hommes/femmes en Algérie*, Thèse de doctorat d'Etat en psychologie clinique, Université d'Oran.

5- FSIAN (H), *Y-aurait-il une question du père à l'adolescence dans l'éclosion de la violence en Algérie*, Département de psychologie, Oran.

6- FSIAN (H), *Corps, genre et pouvoir*, *In* : KAHLOULA (M) (Sous ladir de) (2011), Corporéités, Dar Erridoine, Oran.

7-GALLIGANI (S), *De l'entretien au récit de vie: Quand les sujets s'emparent de la conduite d'un entretien*, Centre de Didactique des Langues – LIDILEM, Université Stendhal, Grenoble 3, Ecarts d'identité N°92. Mars 2000.

8- LACOSTE-DUJARDIN (C) (1985), *Des mères contre les femmes: maternité et patriarcat au Maghreb*, Editions la Découverte, Paris.

9- MALWESKA-PEYRE (H) et TAP (P) (Sous la dir de) (1991), *La socialisation de l'enfance à l'adolescence*, 1ère éd, PUF : Presses Universitaires de France.

10- SORDES-ADER (F), TAP (P) et TAQUINIO (C) (2002), *Santé, maladie et identité*, In : FISCHER (G-N), Traité de psychologie de la santé, Dunod, Paris,

11- TILLON (G) (1966), *Le harem et les cousins*, Editions du seuil, Paris.